شرح القواعد الأربع

لفضيلة الشيخ

علي بن خضير الخضير

فك الله أسره











الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ

سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ علي بن خضير الخضير (٢)

شرح القواعد الأربع

لفضيلة الشيخ

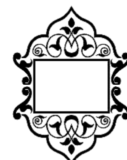
علي بن خضير الخضير

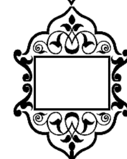
فك الله أسره

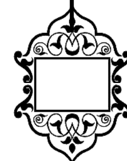
الطبعة الأولى

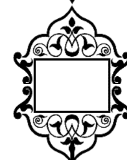
١٤٣٦هـ

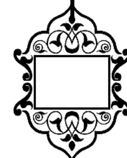
بسم الله الرحمن الرحیم

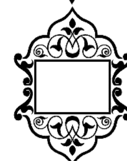














المقدمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه وأجمعين.

فهذا شرح القواعد الأربع تأليف العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

القواعد الأربع

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أذنبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

الشرح :

المقدمة: «القواعد الأربع»:

فيما يظهر لي أن الرسالة أُلفت في أول هذه الدعوة السلفية في الزمن الذي أُلف فيه كتاب كشف الشبهات، و ذلك لما بين الكتابين من التشابه، و هو أيضًا في نفس موضوع كتاب كشف الشبهات، إذ هي ردود و توضيح لما أثير حول هذه الدعوة من شبهات و شكوك و اختصت هذه الرسالة **«القواعد الأربع»** بتوضيح معنى الشرك و تحديد ماهيته، و مما يدل على أن المصنف أراد توضيح معنى الشرك في هذه الرسالة قوله: **«عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله يخلصك من هذه الشبكة و هي الشرك بالله»** و وضع المؤلف هذه القواعد الأربع لتسهيل فهم و معرفة الشرك.

مسألة: «عنوان الرسالة»

قواعد: جمع قاعدة، و هي في اللغة أساس البناء و أصل الشيء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧].

اصطلاحًا: قضية كلية أو حكم كلي مبني على جزيئات.

مسألة: «بسم الله الرحمن الرحيم»:

ما يتعلق بالبسملة سبق أن تكلمنا عليه في أول شرح كتاب التوحيد.

مسألة: قوله: «أسأل الله الكريم. . . . إلى قوله: عنوان السعادة»، «عنوان السعادة»:

هذا المقطع مقدمة دعائية، استهل المصنف هذا المقطع بالدعاء للسامع و القارئ و دعا له بثلاثة أمور:

١- أن يتولاك في الدنيا و الآخرة، فدعا له بالتولي العام.
٢- دعا له بالمباركة **«و أن يجعلك مباركًا أينما كنت»**.
٣- دعا له أن يكون من السعداء، و بين له أسباب السعادة و هي:
أ- الشكر
ب- الصبر
ج- الاستغفار

مسألة: استهل الدعاء بالتوسل إلى الله سبحانه بأسمائه و هذا من السنة أن يتوسل بأسماء الله و صفاته في الدعاء، توسل باسمين من أسماء الله:

١- الكريم.

٢- الرب[(١)].

قوله: «**يتولاك**» :الكاف للخطاب و الرسالة هنا هل هي موجهة لشخص معين أم أنها عامة؟ الأقرب أنها عامة، لأن المصنف أراد التعليم العام.

قوله: «**أن يجعلك مباركًا أينما كنت**»: «**المبارك**» هو من جعل الله فيه أسباب البركة، فالعالم مبارك، لأنه يعلم و يدعو إلى الله، و هذه بركات كما جاء عند البخاري من حديث أسيد بن الحضير: «**ليست هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر**» و التاجر الصالح مبارك لأنه يبذل المال في طاعة الله، و هذه بركة، و الأب الذي يسعى في إصلاح أولاده مبارك.

لكن هل هذه البركة ذاتية أم سببية؟ هذه البركة سببية، لأنه ليس هناك أحدًا مباركًا بركة ذاتية إلا الرسول ﷺ، فإن الصحابة ﷺ يتبركون بأبعاضه، مثل: أظفره أو ثيابه.

«**أينما كنت**»: باعتبار المكان.

---

(١) و من التوسل المشروع: التوسل بالعمل الصالح كما في حديث الثلاثة الذين طبقت عليهم الصخرة فدعا أحدهم ببره بوالديه و دعا أحدهم بعفته عن الزنا و دعا ثالثهم بحفظه مال الآخرين و هو في الصحيحين، و من التوسل المشروع: التوسل بدعاء الرجل الصالح كأن تذهب إلى رجل صالح فتقول: ادع الله لي أن يوفقني أو يرحمني أو نحو ذلك كما جاء عن عمر أنه قال: « اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بعم نبينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فدعا العباس الله أن يغيث المسلمين فأغاثهم. . . ».

قوله : «**و أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر**»: أعطي: مبني للمجهول، و الله هو المعطي حقيقة، و الخلق يعطون لكن إذا أراد الله، إذاً عطاؤهم ناقص تابع لمشيئته ﷻ، و الدليل على أنهم يعطون قوله عليه الصلاة و السلام: «**من صنع إليكم معروفًا فكافئوه .**» رواه أبو داوود بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما أسباب السعادة التي ذكرها المصنف، فمنها الشكر عند العطاء، و تعريف الشكر لغةً: قال في الصحاح: الثناء، و اصطلاحًا: يطلق على الثناء و العمل، و أما الثناء فمتعلق باللسان فينسبها إلى الله خلقًا أولاً ثم يذكر السبب إن كان صحيحًا، أما العمل فيتعلق بالقلب: و هو التصديق و الإقرار أنها من عند الله، و أيضًا العمل يتعلق بالجوارح: و هي العمل بطاعة الله، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

مسألة: عرفنا أنه يشكر الله، فهل يشكر السبب؟

أما إن كان السبب حقيقيًا فإنه يُشكر، لكن بعد «**ثم**» فإذا سَلِم من المرض، قال: هذا بفضل الله ثم بمهارة الطبيب، و إذا سَلِم من حادث، قال: هذا من فضل الله ثم حذاقة السائق، و إذا صار غنيًا قال: هذا بفضل الله ثم بجدي و كسبي.

فإذا ترك القول بفضل الله و نسبها إلى السبب الحقيقي فهذا شرك أصغر، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة:٢٢]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا : «**و هي قول الرجل لولا البط أو لولا الكلب لأتانا اللصوص، كل هذا شرك**» رواه ابن حاتم بسند حسن.

فمسألة السلامة من اللصوص نسبت إلى وجود البط، و لم يقل لولا فضل الله ثم البط، و هذا يحدث عند العوام كثيرًا فلينتبه له[١].

و إذا لم يكن السبب حقيقيًا فمجرد نسبتها إليه من الشرك، فإما أن يكون شركًا أصغر كما لو قال في مجئ رجل بسبب مجئ فلان نزل المطر أو الأمير أو الملك فمجئ الشخص ليس سببًا في نزول المطر، و يكون شركًا أكبر إذا نسب شيئًا إلى بركة فلان مثل ببركات الولي فلان رزقت ولدًا.

قوله: «و إذا أُبتلي صبر» أُبتلي مبني للمجهول و الفاعل هو الله تعالى، فالله هو خالق كل شئ فهي من الله خلقًا و إيجادًا و مشيئة، و من العبد كسبًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾ [آل عمران:١٦٦]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٥]، إلا أن الشرور و البلايا لا تنسب إلى الله في معرض الثناء و المدح و في مقام الشكر لما جاء في الحديث مرفوعًا: **«و الشر ليس إليك»**.

الصبر لغةً: الحبس.

اصطلاحًا: حبس اللسان عن التشكي و الجوارح عن لطم الخدود و نحوه و النفس عن الجزع، حكمه: واجب، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، قال علقمة: **«هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلّم»**، و قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، و قوله:

---

(١) و قيل يجوز أن يقول لولا البط لسرقنا اللصوص لأنه له تأثير ذكره الشيخ سليمان.



﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨]، و محل الصبر عند الصدمة الأولى في أول المصيبة، قال عليه الصلاة و السلام: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» كما في الصحيح، و الاستمرار في الصبر حتى انتهاء المصيبة واجب، و ذلك حتى يستغرق الصبر زمن المصيبة.

- **و هل يجب الصبر بعد ما ينتهي البلاء؟**

لو كان هناك جزعًا مرة أخرى فالصبر واجب.

قوله : «و إذا أذنب استغفر»: الذنب يشمل جميع الذنوب حتى المكفرات **«استغفر»** فيه طلب المغفرة، فتطلب من الله أن يستر ذنبك و يتجاوز عنه في الآخرة، لأن المغفرة هي الستر و التجاوز، **«فإن هذه الثلاثة عنوان السعادة»** الألف و اللام للعهد الذكري.



المقطع الثاني:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الشرح :

عنوانه: بيان معنى التوحيد و تفسير ملة إبراهيم،

«اعلم» يؤتى بها للاهتمام بما بعدها، **«أرشدك الله»** هذا دعاء من المصنف مرة أخرى يدل على حب المصنف و رحمته لهذه الأمة، **«و اعلم»** مرَّ تعريف العلم في كشف الشبهات.

قوله : «إن الحنيفية» : قال ابن الأثير في النهاية: الحنيف: المائل، و أصل الحنف الميل، فيقال رجل أحنف إذا كانت قدمه بائنًا، اصطلاحًا: الميل عن الشرك إلى التوحيد، الألف و اللام في الشرك للعموم، أي تميل عن الشرك صغيره و كبيره،

قوله : «ملة إبراهيم»: الملة: مأخوذة من المل، و هو التكرار و المعاودة ذكره العسكري في الفروق اللغوية، و لذا يقال طريق ملي إذا تكرر سلوكه، و منه الملل، و هو تكرار الشئ على النفس، و اصطلاحًا: هو ما يتكرر فعله مما شرعه الله من العقائد و الأحكام، وأضيفت إلى إبراهيم بتقدير اللام أي: ملة لإبراهيم، لأنه



مختص بها و ملازم لها، ثم فسر ملة إبراهيم فقال: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين بمعنى إفراد العبادة لله تعالى وحده.

كلمة (إفراد) تتضمن شيئين:

١- إتيان العبادة لله.

٢- نفيها عما سواه.

فمن عبد الله لا يسمى حنيفًا حتى لا يعبد إلا الله فيجمع بين عبادة الله و عدم عبادة غيره، و عكس ملة إبراهيم: أن تجعل لله شريكًا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته وهي ملة الشيطان ثم ذكر الدليل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، اللام في **«ليعبدون»** للتعليل أي ما خلقهم إلا لعلة واحدة و هي العبادة له وحده جل و علا و عز، و معني يعبدون: يتذللون و يخضعون للأوامر الشرعية، و عند أهل البدع: يتذللون و يخضعون للأوامر القدرية، و هذا خطأ كبير فكل شئ خاضع لله و أمره القدري، فالكافر عبد باعتبار خضوعه لأوامر الله القدرية، فموته و حياته متى شاء الله و هذا لا يكفي من الكافر بل لا بد من الخضوع و التذلل للأوامر الشرعية و سبق أن فسر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصول الثلاثة يعبدون بمعنى يوحدون، و هذا تفسير الشئ ببعض أفراده، و هذا المقطع السابق **«الحنيفية ملة إبراهيم»** هو نفس النص الموجود في الأصول.

المقطع الثالث:

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ.

الشرح :

و هو عنوانه: بيان أهمية التوحيد و مكانته بالنسبة للعبادة، ثم وضح المصنف مكانة التوحيد بالنسبة للعبادة، فهي شرط الصحة، فلا تصح العبادة بدون التوحيد، و لذا مثّله بالطهارة بالنسبة للصلاة، فالطهارة شرط لصحة الصلاة، كما في الصحيح: **«لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»**، أما الدليل على أن التوحيد شرط للعبادة قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، و قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، و من السنة: حديث أبي هريرة ﵁ في الصحيح: **«من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته و شركه»** و قوله: **«إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا»**.





المقطع الرابع :

فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةِ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ.

عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ.

الشرح :

هذا هو المقطع الرابع و عنوانه: أثر مخالطة الشرك في العبادة، و أثره هو فساد العبادة، لذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت**» و الفساد و البطلان بمعنى واحد كما هو مشهور و معنى الفساد: ما لا يسقط به الطلب و لا تبرأ به الذمة و لا يترتب عليه آثاره.

«**فسدت**» أي باعتبار العمل فإنه يفسد، أما باعتبار العامل فإنه يكفر إذا خلط الشرك بعبادة، و لذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «**و صار صاحبه من المخلدين**» فالعامل يكون مشركًا مخلدًا في النار، و على ذلك.

فقوله: «إذا دخل الشرك العبادة»: فالألف و اللام ليست للعموم، و يُقصد به الشرك الأكبر، لأنه لا يخلد إلا من أتى بالشرك الأكبر، و أما من أتى بالشرك الصغر فصاحبه ليس من الخالدين.

«**عبادة**» يُقصد بها العبادة التي يبتدئها لله ثم يطرأ عليها الشرك و هذا في باب الرياء و باب العمل الصالح لأجل الدنيا، وهناك قسم من الشرك يفسد العبادة بدون دخول عليها، **فأصبح الشرك الأكبر باعتبار فساد العبادة قسمين:**

١- **قسم يدخل في العبادة، مثال**: صلى الظهر مخلصًا ثم في أثناء العمل راءى رياءً يخرج من الملة، فهذه العبادة تفسد فإذا خرج وقتها لم يعدها صحيحة فإنه يكفر، لأن حكمه حكم من ترك الصلاة عمدًا فهو كمن لا يصلي، و من ترك صلاة واحدة متعمدًا كفر إذا خرج وقتها كما هو مذهب الحنابلة و أهل الحديث، **و مثله:** لو ابتدأ العمل لوجه الله و في أثناء العمل قصد الدنيا فصلى لأجل الدنيا فإن العبادة تفسد و يعتبر كمن لم يصل،

مثال آخر: كمن عنده خمس من بهيمة الأنعام فذبح بعضها لله و بعضها لغير الله فهذه العبادة ابتدأها لله و أدخل الذبح لغير الله فيها ففسدت.

٢- **الشرك الذي لا يدخل في العبادة** لكن يُفسدها بمعنى ينقصها، وهذا كمن عمل أعمالاً صالحة و عبادات كثيرة ثم أشرك بعد هذه العبادات فإن شركه الحادث ينقص ما سبق من العبادات، وهذا القسم فيه شرط، وهو أن يموت على الشرك أما لو أشرك ثم عاد إلى التوحيد فإن العبادات التي قبل الشرك لا تحبط لأن الصحيح أن العبادات لا تحبط غلا بالموت على الشرك لقوله تعالى: ﴿ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ فمفهوم الآية أن من لم يمت على الكفر لا يحبط عمله و لذلك لو كان حج قبل الردة فلا يعيد حجه لو عاد إلى الإسلام.



مسألة: هناك من الأشياء ما يخالط العبادة و لا يفسدها و لا يكون صاحبه من المخلدين، لكنه ينقص الكمال فله أثر على الكمال، كمن عمل الصالح يريد وجه الله و يريد شيئاً من الدنيا، كمن جاهد لإعلاء كلمة الله و يريد المغنم، و حج يريد فضل الحج و يريد التكسب، هذا جائز في الأصل بشرط أن يكون الغالب على عمله إرادة رحمة الله و إرادته للدنيا أقل، فإذا كان الغالب إرادة الدنيا فهذا من الشرك، و إن كان إرادة الدنيا و إرادة وجه الله متساويين، فهنا أيضًا من الشرك، أما الدليل على أنه إذا كان يريد وجه الله غالبًا أنه جائز قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٨].

وجه الدلالة: نفي الجناح عمن تكسب في الحج، و عند مسلم قوله ﷺ: **«في المجاهد يأخذ المغنم قال تعجلوا ثلثي أجرهم»**.

وجه الدلالة: أنه أثبت لهم أجرًا فأعطاهم بعضه و بقي بعض.

مسألة: هناك ما يدخل في العبادة فيفسدها، لكن لا يكون صاحبه من المخلدين، و هذا هو الشرك الأصغر، كمن راءى في النوافل و نحو ذلك، و هو الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].



المقطع الخامس:

وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

الشرح :

الشرك يختلف بكونه أكبر أو أصغر.

فتعريف «**الشرك الأكبر**»: هو أن تجعل لله ندًا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته، و هذا تعريف الشرك الأكبر بشكل عام، أما المعنى الخاص (فالشرك بالربوبية): أن تجعل لله ندًا في الخلق و الملك و التدبير و نحو ذلك، و(الخاص في شرك الألوهية): هو أن تجعل لله ندًا في العبادة، و (الخاص في الأسماء والصفات): أن تجعل لله ندًا في أسمائه و صفاته التي يستحقها.

أما تعريف «**الشرك الأصغر**» فيه خلاف بين أهل العلم في تعريفه:

١ - عرفه الجمهور بأنه ما جاء في النصوص تسميته شركًا و لم يبلغ حد العبادة **مثاله:** قول: «**ما شاء الله و شئت**» فإنه جاء في الحديث تسميته شركًا، و لفظ الحديث قال أجعلتني لله ندًا، ومنه الحلف بغير الله إذا كان لا يعتقد في المحلوف به أنه مثل الله، فقد جاء تسميته شركًا حديث عمر: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، ومنه قول: «**لولا الله و فلان**» إذا قاله في مقام الثناء، فقد صح عن ابن

عباس تسميته شركًا، و على هذا التعريف فقراءة القرآن عند القبور هي من البدع، و ليست من الشرك لأنه ليس في النصوص ما يدل على تسميته شركًا.

٢- **الشرك الأصغر:** هو كل وسيلة قولية أو فعلية توصل إلى الشرك الأكبر و لم تبلغ حد العبادة، و هذا التعريف أوسع و أشمل من الذي قبله، لأنه جعل جميع وسائل الشرك الأكبر من الشرك الأصغر، وجعل حكم الوسائل من الشرك، ولم يشترط في تسميته في النصوص شركًا، و هو تعريف السعدي في كتاب القول السديد، و أيضًا يؤيده أن الوسائل قد تسمى تسمية الأصل لحديث: **«العينان تزنيان و زناهما النظر»** فسمى النظر زنا و هو وسيلة إلى الزنا، و الذي تميل إليه النفس القول الثاني، لكن ليس على إطلاقه بمعنى أننا نسمي وسائل الشرك الأكبر شركًا أصغر، لكن حكمه في الآخرة يختلف عن ما جاء تسميته في النصوص شركًا.

مثاله: أننا نقول: «من قرأ القرآن عند القبور و كذا من عبد الله عند القبور فكلاهما من الشرك الأصغر و كلاهما ناقص الإيمان، لكنه في الآخرة لم يأت كمن جاء تسميته في النصوص شركًا و لم يبلغ حد العبادة، فهو تحت المشيئة بخلاف ما جاء تسميته شركًا من الأصغر، وهذه من مات عليها فإنه يعذب و لا يدخل تحت المشيئة و هي مثل: «الحلف بغير الله و قول ما شاء الله و شئت»، واستدل المصنف بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] و الأمر الذي لا يغفره الله خطير يجب معرفته و الابتعاد عنه.

قوله : «و ذلك بمعرفة أربع قواعد»: أي معرفة الشرك تتم إذا عرفت هذه القواعد الأربع فهي تساعد على فهم الشرك و بعضها موجود في بعض كتب الشيخ.

القاعدة الأولى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ — تَعَالَى -هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ) [يونس: ٣١].

الشرح:

عنوانها: «أن الإقرار بالربوبية فقط لا يكفي في إبعاد صفة الشرك».

و هذه القاعدة تعتبر من أهم القواعد الأربع، ومثلها القاعدة الثانية: «أن **تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله أنهم يقرون بأن الله هو الخالق المدبر**».

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أن تعرف أن الكفار ثم وصفهم الذين قاتلهم عليه الصلاة و السلام. . لاحظ دقة المؤلف رحمه الله في العبارة، حيث لم يقل إنهم موحدون، لأنهم لا يمكن تسميتهم موحدين مع تخلف توحيد الألوهية، و لم يقل: إن توحيدهم صحيح، فلا يصح مع تخلف توحيد الألوهية.

قوله: «الكفار»: الألف و اللام هل هي للعموم؟ يعني هل كل الكفار في عهده عليه الصلاة و السلام مقرين بتوحيد الربوبية؟

ليس على إطلاقه، فإن هذا في الجملة لا بالجملة، و يدل أن من الكفار من يشرك في توحيد الربوبية، كما في حديث زيد بن خالد قال: «**أما من قال مطرنا بنوء كذا و كذا. . .**»[1] الصحيحين.

فكانوا يعتقدون في النجوم أنها تنزل المطر، و أشار إلى هذه المسألة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في درء تعارض العقل و النقل ص ٣٤٧ ج ٩ قال: «**و المقصود أن كثيرًا من أهل الشرك و الضلال قد يضيف بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث لغير الله تعالى**» أ. هـ.

و قال المقريزي في كتابه (تجريد التوحيد) :على أن من المشركين من أشرك في الربوبية كما يأتي. . . أ. هـ.

و لكن الغالب أن الكفار يؤمنون بالربوبية و يوجد بعض الأشخاص ينكرون ذلك ثم ذكر المؤلف الدليل على أن المشركين الذين قاتلهم الرسول ﷺ مقرون بالربوبية قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم ...﴾ الآيةَ.

و اكتفى بدليل واحد، وقد وافق المؤلف جمع من المفسرين، قال ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

---

(١) و من الآيات الدالة على إقرارهم بالتوحيد قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، و قوله: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾.

[يوسف:١٠٦]، وأيضًا ابن كثير عندما فسر: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [العنكبوت:٦١]، و وافقه أيضًا ابن تيمية في مواطن كثيرة من الفتاوى ج ١ ص ٩١، و المقريزي في تجريد التوحيد و غيرهم، وذكر المؤلف هذه القاعدة لكي يرد على شبهة مثارة في عصره، و اشتهرت حتى يومنا هذا.

و هي: أن الكفار غير مقرين بالربوبية لا الذين قاتلهم الرسول ﷺ و لا غيرهم – راجع كشف الشبهات – و من الذين كتب في هذه الشبهة محمد علوي مالكي في كتابه (**مفاهيم يجب أن تصحح**) و من أدلتهم قالوا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ أنهم غير مقرين لذا يقولون المتصرف هو الدهر و استدلوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ ينكرون قدرة الرب على الخلق و الرد على هاتين الشبهتين فهي أن الآية الأولى و الثانية في إنكار البعث، و ليس في إنكار الربوبية فقوله: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ [الجاثية:٢٤]، ليس هناك بعث و قوله: ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ أي ليس هناك بعث، وهذا ليس مدافعة في عدم وقوعهم في إنكار الربوبية.

القاعدة الثانية:

أُنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر: ٣]. وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ) [يونس:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [البقرة: ٢٥٥].

الشرح:

فحواها: «**أن الكفار استغاثوا و عبدوا معبوداتهم من غير أن يعتقدوا فيهم ربوبية**»، وهذه القاعدة أي أن من عبد غير الله فإنه يكفر و لو لم يعتقد فيهم ربوبية خلافًا لمن يقول أنه لا يكفر إذا عبد غير الله حتى يعتقد فيهم الربوبية.

مسألة: أسلوب القاعدة فيها أسلوب حصر في قوله: **«ما دعوناهم إلا. . .»** و الحصر هنا يفيد النفي و الإثبات فـ (لا) نافية و (إلا) مثبتة، و أسلوب الحصر من أقوى الدلالات على المقصود، و الحصر هو إتيان الحكم في المحصور و نفيه عما سواه، ويكون معنى هذا الأسلوب أننا ما دعوناهم إلا بشيء واحد فقط لا غيره، وهو أن يشفعوا لنا عند الله لا أنهم أربابًا أو ينفعون أو يضرون.

شرح مضمون القاعدة: «أنهم» أي المشركين من العرب.

قوله: «يقولون»: يقصد به قول القلب و قول اللسان يقولون ذلك بألسنتهم و يعتقدونه بقلوبهم،

و قوله: «ما دعوناهم»: المقصود بالدعاء هنا المعروف و الدعاء قسمان: دعاء عبادة و هو كالذبح و النذر لغير الله، و دعاء مسألة و طلب كالاستغاثة الشركية بغير الله، فأي المعنيين المقصود هنا هل هو الجميع أم أحدهما؟ قبل الإجابة تأمل الكلمة التي بعدها فإنها تغير المعنى و تؤثر فيه

قوله: «توجهنا» يقصد بالتوجه العبادة و الأعمال، و إذا فسر التوجه بأنه الأعمال فنعود إلى كلمة الدعاء و نقول: يقصد به دعاء المسألة و الطلب.

«ما دعوناهم» أي استغثنا بهم، و الواو عاطفة، والتوجه يقصد به الأعمال و الطاعات بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩]، والمقصود الصلاة. الثاني قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:٢٠] ، والإسلام هو: الانقياد لله بالأعمال فيكون توجهنا إليهم أي ذبحنا و نذرنا و اعتكفنا عند قبورهم و تبركنا بهم و لهم إلى غيره من أنواع العبادة.

و قوله: «إلا لطلب القربة»: اللام في الطلب للتعليل، أي علة استغاثتنا بهم و عبادتنا لهم ليقربونا إلى الله و يشفعوا لنا عند الله و هنا عطف القربة على الشفاعة، و العطف يقتضي المغايرة، لذا نفسرها بمعنى المغايرة، و لولا أنهما اجتمعا لكان كل واحد يغني عن الآخر مثل الإسلام و الإيمان .

«معنى القربة» سؤال المغفرة و النجاة من النار بمعنى أعم أي يريدون أن يتوسطوا لهم في الأمور الأخروية حتى يكونوا قريبين من الله في الآخرة، و صيغة الطلب للقربة أن يأتوا للصالحين و يقولوا لهم اشفعوا لنا عند الله أن يغفر لنا أو يدخلنا الجنة و نحو ذلك.

و معنى «الشفاعة» السؤال بالأمور الدنيوية و الصيغة أن يأتوا إلى الأولياء و يقولوا لهم اشفعوا لنا عند الله أن يرزقنا أو يهب لنا أولادًا أو يكشف ما بنا من مرض.

مسألة: مكانة هذه القاعدة هي اهم قواعد الرسالة، فالقاعدة الأولى تعتبر توطئة لهذه القاعدة، و السبب أن ما يتعلق بتوحيد الألوهية أعظم و أهم مما يتعلق بتوحيد الربوبية.

مسألة: الهدف من هذه القاعدة التي أوردها المؤلف رحمه الله للرد على علماء المشركين في زمانه الذين يقولون أن الشرك أن تعبد من تعتقد فيه الربوبية، وقد عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في زمانه من هؤلاء الذين بثوا الاعتقاد بين الناس، و قالوا يجوز الاستغاثة بالصالحين ما دام أن المستغيث لا يعتقد فيهم الربوبية، و من هؤلاء:

١- محمد الفاسي (ت ١٢٢٧هـ) ألف كتاب **«الرد على بعض المبتدعة»** و قال ما نصه: **«فأين هذا ممن يستغيث من المسلمين بنبي أو ولي معتقدًا أنه لا ينفع و لا يضر»** أ. هـ.

و قصده من هذا الكلام أن المسلم إذا استغاث بالنبي أو الولي و هو لا يعتقد انه لا يملك نفعًا و لا ضرًا أنه ليس بشرك.

٢- محمد القادري الحليبي (ت ١٢١٧هـ) ألف رسالة: (**الرد على الوهابية**) ذكر في هذه الرسالة تجويز الاستغاثة بغير الله ما دام أن المستغيث لا يعتقد بالمستغاث به أنه خالق أو متصرف.

٣- ابن عفالق الأحسائي. . . و هو من أشد خصوم الشيخ في الجزيرة، و قد أورد في رسالة له: أن المستغيث لا يكفر إلا باعتقاد الربوبية ثم أثيرت الشبهة كثيرًا بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٤- فجاء داوود بن محمد الهمداني (ت ١٣٠٣هـ) و ألف كتاب (إزهاق الباطل).

٥- وداوود بن جرجيس العراقي (ت ١٢٩٩ هـ) و كانت خصومته شديدة، و له ردود كثيرة على هذه الدعوة السلفية، ألف رسالة اسمها: (**المنحة الإلهية في الرد على الطائفة الوهابية**).

٦- و آخر هذه الطائفة المدعو: محمد بن علوي المالكي، و هو معاصر، ألف كتابًا اسمه: (مفاهيم يجب أن تصحح)، و قد رد عليه الشيخ صالح آل الشيخ برسالة «**هذه مفاهيمنا**» و كل هؤلاء يضربون على وتر أنه إذا كان لا يعتقد فيه الربوبية فليس بشرك.

ثم ذكر المصنف الأدلة التي تدل على أنهم أشركوا في العبادة و الدعاء فقط.

الآية الأولى و هي مسألة طلب القربة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣]، أي ما نعبدهم إلا لغاية واحدة و هي التقرب ثم ذكر في آخر هذه الآية أنهم كفار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ فكفرهم بهذا الطلب.

الآية الثانية في طلب الشفاعة الشاهد. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

ثم انتقل المؤلف إلى بيان المعتقد الصحيح في مسألة الشفاعة، **و قبل الدخول في هذه المسألة يتساءل الإنسان لماذا وردت مسألة الشفاعة بهذه القاعدة؟**

و المصنف له مغزى، يريد أن يبين أن استغاثتكم بالصالحين مع أنها شرك فهي لا تنفع أيضًا.

و المعتقد الصحيح في مسألة الشفاعة، قال المصنف تنقسم إلى قسمين:

١- **شفاعة منفية،** و عرفها بقول: (**ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله و الدليل قوله تعالى:** ﴿خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ . . .﴾، و الشفاعة المنفية هنا ليست مطلق الشفاعة، و لكنها الشفاعة التي لا يرضاها الله كالشفاعة للكفار أو

الشفاعة من الكفار، و على ذلك فمن يستغيث بالصالحين فلن يشفعوا له يوم القيامة، و السبب لأنه كافر بهذه الشفاعة، و الكفار لا يشفع أحد لهم يوم القيامة، و هذا موضع مقصد المصنف في إيراد الشفاعة.

٢- **الشفاعة المثبتة**، و هي التي تطلب من الله، و المبتدئة بقول: يا الله شفع فيّ رسولك، و لها ثلاثة شروط:

(أ) أن يكون الشافع مرضيًا عنه مكرمًا بالشفاعة.

(ب) أن يكون المشفوع له مرضيًا عنه.

(ج) الإذن من الله للشافع أن يشفع، و الدليل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وهنا يقول المصنف: «**لن تنتفعوا من هذه الشفاعة إن كنتم تستغيثون بالصالحين، و الصالحون مرضيون عند الله، لكنكم أنتم غير مرضيين لقيام الكفر فيكم، و لن يأذن الله أن يشفع لأحد لكم.**



القاعدة الثالثة:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلاَئِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً... ﴾ الآية [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ الآية [المائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ... ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى ❁ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) [النجم: ٩١، ٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِي نَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. الحَدِيثَ.

الشرح :

قصد المصنف في هذه القاعدة: أن يبين أن الشرك هو صرف شئ من أنواع العبادة لغير الله كائنًا من كان بغض النظر عمن صرفت له العبادة سواء كان من الصالحين أو من الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك، و يدل على هذا القصد قول المصنف: «**أن النبي ظهر في أناس متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة و منهم من يعبد الأنبياء. . .**»

و في هذه القاعدة يرد المصنف على من قال: إن الشرك هو عبادة الأصنام و الأحجار فقط، و هذا الكلام شبيه بما مر معنا في كشف الشبهات حينما أثاروا شبهة أن الشرك هو عبادة الأصنام و الأحجار و الجمادات.

فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كشف الشبهات: بل والصالحين و الأنبياء، و لم يفرق الرسول ﷺ بين من عبد الصالحين و من عبد الأحجار لا في الحكم، و هو كونهم مشركين و لا في العقوبة و هو قتلهم أجمعين، واستدل بقوله

تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩] و الضمير في قاتلوهم يعود على من عبد غير الله كائنًا من كان.

و ذكر المصنف هنا سبع معبودات كانت تعبد، و لم يقصد الاستيعاب، و لكن هذا هو المشهور، و هم حسب ترتيب المصنف كالتالي: **«الملائكة – الأنبياء – الصالحون – الأشجار – الأحجار – الشمس – القمر»** و قد ذكر دليل كل معبود إلا أنه لم يرتب الأدلة حسب ذكرهم سابقًا فبدأ بدليل الشمس و القمر، قوله تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾ [فُصِّلَت:٣٧]، مما يدل على أن هناك من يعبد الشمس و القمر، و دليل عبادة الملائكة: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾ [آل عمران:٨٠]، إلا أن الآية لا تفي بالمقصود، و لما مر علينا في القاعد الأولى لما رددنا على أدلة من أنكر أن الكفار مقرون بتوحيد الربوبية، وقلنا في تفسير الآية أنها نزلت في وفد نجران لما قالوا للنبي ﷺ أتأمرنا. . . أن نعبدك فنزلت الآية ذكرها الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية، و بالاطلاع على سبب نزول هذه الآية لا يدل على أن هناك من يعبد الملائكة، و هناك آيات أوضح منها بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾ [سبأ:٤٠]

ذكر البغوي و ابن الجوزي في تفسيرهما أن الله يجمع الملائكة و من يعبدهم و تتبرأ الملائكة منهم، وهذا دليل على أن هناك من عبد الملائكة، و دليل الأنبياء في عيسى عليه السلام، الشاهد آخر سورة المائدة: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ

إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ [المائدة:١١٦]، و دليل الصالحين قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧]،

و معنى الآية أن الذين تعبدونهم و تدعونهم من دون الله من الصالحين هم محتاجون إلى الله يتقربون إليه و يرجون رحمته، فكيف تعبدون المحتاج، و تتركون الغني و هو الله ﷻ، و أما دليل الأشجار و الأحجار فقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ ﴾ [النجم:١٩]

و اللات: حجر، **و العزى**: شجر، و أما من السنة لعبادة الأشجار و الأحجار حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين. . .

الشاهد: و للكفار شجرة ينوطون بها أسلحتهم. . رواه الترمذي و حسنه و أحمد و صححه ابن حبان و الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢١٦/٤).

القاعدة الرابعة:

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) [العنكبوت: ٦٥].

تمت و صلى الله على محمد و آله و صحبه و سلم

الشرح:

مسألة: قصد المؤلف من هذه القاعدة: أن يبين أن الشرك بعضه أعظم و أغلظ من بعض، و أن المشركين بعضهم أغلظ و أعظم من بعض، و يدل على أن الشرك يتفاوت، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:٣٧].

مسألة: قصد المؤلف أيضًا: أن يبين أن الشرك و لو وقع في زمان واحد، فإنه يكفي في الحكم على الشخص أنه مشرك، و لا يلزم من كونه مشركًا أن يشرك في جميع الأزمنة، و قال هذه القاعدة لأنه بصدد تعريف الشرك و بيان غلظته من ناحية الكمية.

مسألة : تحليل القاعدة:

«**إن مشركي زماننا**» الذين جعلوا لله ندًا في الألوهية أو الربوبية أو الأسماء و الصفات.

«**أغلظ**» من ناحية الكمية و درجة الغلظة في الكمية أن من في زماننا «**أي زمن المصنف**» يشرك في زمانين و هو أغلظ ممن يشرك في زمان واحد.

والزمان: هو الشدة و الرخاء، «**لأن الأولين**» اللام للتعليل ثم يبين علة التغليظ.

ويقصد بالأولين الألف و اللام للعهد أي المعاصرين للرسول ﷺ و كانوا قبله «**أي قبل عصر المصنف**» فهو أولية نسبية «**يشركون في زمن واحد، و هو زمن الرخاء**» وقت العافية و الصحة و الخصب يجعلون لله ندًا، و في وقت الشدة و المرض و الكوارث يخلصون لله، و إخلاصًا باعتبار عدم المشاركة لا أنه ينفع لأن الإخلاص مع الشرك في الألوهية لا ينفع، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣].

قوله: «**ومشركوا زماننا شركهم دائمًا**»، باعتبار الأزمنة ثم ذكر دليلاً على ذلك، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى

ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت:٦٥] (١)، و في نهاية هذه القاعدة يكون المصنف خرج بتعريف الشرك في الألوهية و هو حصيلة القواعد الأربع.

و **التعريف**: أن الشرك في الألوهية هو: عبادة غير الله كائنًا من كان، و لا يشترط أن يعتقد فيه الربوبية، و قولنا في الخلاصة و المحصلة: «**أن الشرك عبادة غير الله**» هذا القدر يدل عليه القاعدة الثانية.

و قولنا: «**كائنًا من كان**» يدل عليه القاعدة الثالثة، و قولنا: «**و لا يشترط أن يعتقد في من عبد الربوبية**» تدل عليه القاعدة الأولى، أما القاعدة الرابعة، فالدلالة على تفاوت الشرك من حيث الغلظة.

و قوله: «تمت» أي القواعد الأربع في بيان معنى الشرك في الألوهية.

ثم قال: «و صلى الله على محمد و آله و صحبه و سلم» ختم الرسالة بالصلاة و السلام، و هذا يستحب أن تختم المجالس و الكتب و الدروس بها.

و ذكر ذلك ابن القيم في كتاب جلاء الأفهام ص ٣٨٥ حيث قال: «و من المواطن التي يستحب فيها الصلاة على الرسول عليه الصلاة و السلام عند التبليغ وإلقاء الدروس و تعليم العلم أ ن يصلي على الرسول في أول كلامه و آخره» أ. هـ.

---

(١) و من الأدلة على أن المشركين الأولين يخلصون في الشدة، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴾ الإسراء ٦٧، و قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام ٦٣ – ٦٤

و يدل على ذلك حديثه ﷺ: **«ما جلس قوم في مجلس ثم تفرقوا، و لم يذكروا الله و لم يصلوا على النبي إلا كان عليهم من الله ترة»** رواه الحاكم و صححه و ابن حبان و الترمذي وأحمد عن أبي هريرة و هو حديث صحيح.

تمت القواعد الأربع بحمد الله، فرحم الله مؤلفها و شارحها و كاتبها و ناشرها و غفر لهم و صلى الله على نبينا محمد.

بدأت الأحد ١٤١٥/٢/٣هـ

و انتهت الأربعاء ١٤١٥/٢/٢٦هـ